وملئت منهم رعبا فقال لا انتهى حتى اعلم علمهم فبعث رجالا فقال لهم اذهبوا فادخلوا الكهف فبعث
الله عليهم ريحا فاحرقتهم كذا في الوسيط قوله ليتساءل بعضهم بعضا فيتعرفوا حالهم فانه يجوز فاحرقتهم
ان يكون التساؤل على طريق التنازع والاختلاف في مدة لبثهم حكمة مستدعية لبعثهم لانه
ينكشف لهم بذلك امور اغرب يدل على كمال قدرته فيزدادون هدى واستبصارا وفي شرح التأويلات
اخبر الله تعالى انما بعثهم للتساؤل ثم يكون اللام لام كي بل هي لام العاقبة لانه لما علم منهم ما يكون
عند بعثهم من التساؤل يكون بعثهم لذلك وكذلك جميع ما يخلق ويشاء وانما يخلق ما يعلم انه يكون منهم
لتظهر ما علم على ما علم وهو قوله تعالى ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس لما علم انه يكون
منهم وهو ان يعملوا عمل اهل جهنم فيصيروا اليها وعلى هذا قوله تعالى وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون معناه ان من علم انه يعبد ويعمل عمل اهل الجنة خلقه كذلك والحاصل ان ما يخلقه
الله تعالى انما يخلقه لما يعلم انه انما يكون منه اذ لا يجوز ان يخلق بغير ما يعلم انه يكون منه اذ يخرج
الفعل بذلك مخرج العجز والجهل بالعواقب فاذا كان الله عالما بما كان ويكون ويتعالى عن ان يكون
فعله عبثا لم يجز ان يخلق شيئا لغير ما علم انه يكون وهكذا في الشاهد فان من عمل عملا
لغير ما علم انه يكون فهو عابث او جاهل بعاقبة عمله وكم في قوله تعالى كم لبثتم استفهامية منه
منصوبة بالفعل الذي بعده على الظرفية كما في قولك كم يوما صمت لان الفعل الذي بعده غير مشتغل عنه
بضميره وفي مثله يكون كم معمولا على حسب اقتضاء العامل والمميز محذوف تقديره كم يوما لتقدم ذكره
لدلالة الجواب عليه واو في قوله او بعض يوم للشك منهم لما ذكره من ان جوابهم هذا مبني على غالب الظن قيل
دخلوا الكهف اول النهار فناموا واستيقظوا فاذا هو اخر النهار فقالوا لبثنا يوما فلما رأوا
من الشمس بقية قالوا او بعض يوم وهم في هذا الجواب وان كانوا مخطئين الا انهم لما بنوا هذا
الجواب على غالب الظن وكان الامر عندهم كذلك لم يوصفوا فيه بالكذب ولم يؤاخذوا به قوله
ولذلك احالوا العلم الى الله تعالى يدل على ان الذين قالوا ربكم اعلم بما لبثتم هم الذين قالوا لبثنا يوما او بعض
يوم فلما بعد بدلا منه وعلى الاحتمال الثاني يكون اصحاب الكهف ثلث فرق قال واحد منهم كم لبثتم واجابه جماعة
منهم بان قالوا لبثنا يوما او بعض يوم وانكر عليهم الاخرون بانه قالوا ربكم اعلم بما لبثتم روي ان ابن عباس
استدل بهذه الاية على ان الصحيح من الاقوال في عددهم انهم سبعة لانه قال في اول الاية قال قائل منهم
وهذا واحد وقال في جواب قول هذا القائل قالوا لبثنا يوما او بعض يوم وقالوا صيغة الجمع واقله ثلثة
ثم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وهذا قول جماعة اخرين سواهم حاطبه الجمع جمع الاول بان قالوا ربكم اعلم فكان
المجيبون ستة والمجموع سبعة قوله ثم لما علموا ان الامر ملتبس لا طريق لهم الى علمه اخذوا فيما يهمهم بيان
لوجه ارتباط قولهم فابعثوا احدكم الاية بما قبله الذي هو تذاكر حديث مدة اللبث مع انه لا مناسبة بينهما

بينهما بحسب الظاهر وتقريره ان الاية من باب اسلوب الحكيم كقوله اتت تشتكي عندي مزاولة القرى وقد رأت
الضيفان ينحون منزلي فقلت كاني ما سمعت كلامها هم الضيف جدي في قراهم وعجلي وكقول القبعثرى
للحجاج وقد قال الحجاج له متوعدا لاحملنك على الادهم يعني القيد مثل الامير حمل على الادهم والاشهب مع
الفرس الادهم وهو الذي غلب سواده والاشهب الذي غلب بياضه فان المتكلم قد تلقى المخاطب
بغير ما يترقبه تنبيها على ان الاولى ان يطلب ذلك بصرف كلامه عن الوجه الذي ساق كلامه لاجله الى
وجه اخر فقرأ ابو عمرو الى قوله بالتخفيف اي باسكان الراء وفتح الواو والباقون بكسر الراء
وقرأ ابن كثير بورقكم بكسر الراء وادغام القاف في الكاف وقرئ بالتخفيف اي باسكان الراء
وكسر الواو وبادغام القاف في الكاف وبعدا ادغامها وحملهم له اي حمل اصحاب الكهف الورق قوله
يدل على ان امساك الزاد اهم مشروع لا ينافي التوكل قوله من العود بمعنى الصيرورة
كما يقال ان خرج معاد فانه من العود بمعنى التحول لا من العود بمعنى الرجوع الى الامر الاول قوله
فان دخلتم في ملتهم فتدرج الكون اذن جوابا وجزاء فان قيل اليس انهم لو اكرهوا على الكفر حتى اظهروه
لم يكن عليهم مضرة فكيف قالوا ولن تفلحوا اذن ابدا اجيب بانه يحتمل ان يكون المراد انهم خافوا
من انهم لو ردوا الى الكفر وبقوا مظهرين لذلك الكفر مدة لربما تميل قلوبهم الى ذلك الكفر ويصيرون
كافرين في الحقيقة فلهذا الاحتمال خافوا وقالوا ذلك قوله اطلعنا عليهم اي على احوالهم غيرهم يقال
عثرت على كذا اي علمته اختلفوا في السبب الذي عرف الناس لاجله واقعة اصحاب الكهف على وجهين
الاول انه طالت شعورهم واظفارهم طولا مخالفا للعادة وظهرت في بشرة وجوههم اثار
عجيبة تدل على ان مدتهم قد طالت طولا خارجا عن العادة والثاني ان ذلك الرجل الذي بعثوه الى
المدينة لما ذهب الى السوق يشتري الطعام اخرج الدراهم التي عليها اسم دقيانوس فقال صاحب
هذه النقود غير موجودة في هذه اليوم فانها كانت موجودة قبل هذا الوقت بمدة مديدة ودهر
داهر فلعلك وجدت كنزا فاجتمع الناس عليه وحملوه الى ملك البلد فقال الملك من اين وجدت هذه الدراهم
فقال بعت بها امس شيئا من التمر وخرجنا فرارا من الملك دقيانوس فعرف ذلك الملك انه ما وجد كنزا
بل الله تعالى بعثه بعد موته قوله ليعلموا ان وعد الله بالبعث حق ان الوعد مصدر على حاله اي ليعلموا
ان ما اخبرهم الرسل من بعث الاموات ليس اختراعا من عند انفسهم بل كونه وعدا لله حقا وخبرا
منه حقا فان القوم لما علموا ان الله تعالى انامهم مدة طويلة وابقاهم من غير طعام ولا شراب في تلك المدة علم
منهم ان الانسان لا يبقى من غير طعام ولا شراب في تلك اسبوع فضلا الى تلك المدة علموا ان من قدر
على حفظهم من كل ضرر واذى وابقائهم فيها لقادر على البعث والاحياء بعد الموت ولا يعجز عن شيء يريد
كونه قوله حين اماتهم ثانيا فان الملك وقومه لما رأوا اصحاب الكهف ووقفوا على احوالهم عاد

قوله معه امساك الزاد اهم مشروع لا ينافي التوكل

Copyright © King Saud University